Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol. 30/ No. 9/ 2022 المجلد 30/ العدد9/ 2022

الحكاية القرآنية وبناء المعنى في شعر ابن الرومي

محمد حمزة كريم ركبان **بشائر أمير عبد السادة**
مديرية تربية بابل *كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل*
alftlawybshayr@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2022/8/4 **تاريخ قبول النشر: 22 /2022/8** **تاريخ نشر البحث: 21/ 9/ 2022**

المستخلص

يسعى هذا البحث إلى بيان أثر الحكاية القرآنية في بناء المعنى في شعر ابن الرومي، ومعرفة الطرق التي وظفها الشاعر في استدعاء الحكاية القرآنية، وقد انقسم البحث إلى مطلبين: الاول :مطلب نظري خصص للتعرف على الحكاية لغة واصطلاحا، ومفهوم الحدث والشخصية، والمطلب الثاني :تطبيقي تمثل بأخذ نماذج من شعر ابن الرومي للكشف عن تداخل النصوص القرآنية في شعره وخاصة الحكاية القرآنية بعنصريها الحدث والشخصية .

الكلمات الدالة: الحكاية، الشخصية، الحدث، التناص.

The Qur'anic Storytelling and Meaning Construction in Ibn al-Roumi's Poetry

Mohamed Hamza Karim Rakban
Babylon Education Directorate

Basheer Amir Abdel Sada
College of Education for Human Sciences/ University of Babylon

Abstract

This research seeks to show the effect of the Qur'anic storytelling in constructing meaning in Ibn al-Roumi's poetry, and to know the methods that the poet employed in invoking the Qur'anic storytelling. The research is divided into two parts, the first of which is a theoretical review devoted to identifying storytelling, linguistically and idiomatically, and the concept of the event and the personality. The second part is an application represented by taking samples from the poetry of Ibn Al-Roumi to reveal the overlap of the Qur'anic texts in his poetry, especially the Qur'anic storytelling with its event and personal elements.

Keywords: Storytelling, character, event, intertextuality.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المقدمة

لقد كانت الحكاية القرآنية من أبرز المرجعيات وأكثرها تجلياً وحضوراً في شعر ابن الرومي، حتى اذا ما تناص معها الشاعر واستلهمها، أخذ نصه الشعري يرتوي من ينابيعها الصافية فأكسبت ذلك النص طاقته الايحائية، ولما كان الحديث عن الحكاية القرآنية لا ينفصل عن الأحداث والشخصيات الواردة فيها التي شكلت جزءا مهما منها وعنصرا فاعلا فيها، فقد استثمر ابن الرومي استدعاء الشخصيات في تلك الحكايات ووظفها خدمة لمواقفه وأغراضه، وجاءت معظم تلك الاستدعاءات في غرضي المدح والهجاء، وتمكن الشاعر بمقدرته الشعرية من قلب نمطية تلك الشخصية خدمة للمعنى الذي أراد إيضاحه.

الحكاية لغةً:

الحكاية؛ من ((حكي الحِكايةُ، كقولك: حكيت فلاناً وَحاكَيْته فعلت مثل فِعله، أو قلت مثل قوله سواءً لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية،]...[وحَكوت عنه حديثاً في معنى حَكيته)). [1]

وجاء في الوسيط :(الحكاية) ((ما يُحكى ويُقصّ، وقع او تخيل، واللهجة تقول العرب هذه حكايتنا،] و[(الحكّاء) الكثير الحكاية ومن يقصّ الحكاية في جمع من النّاس)). [2]

فالحكاية في اللغة تعني نقل الأحداث وتداولها بين الناس تقليدا ومشابهة للفعل الحقيقي، من دون تغيير.

الحكاية اصطلاحاً

الحكاية هي: ((سرد قصصي يروي تفصيلات حدث واقعّي أو مُتخيّل]...[وهو ينطبق عادة على القصص البسيطة ذات الحبكة المتراخية الترابط))[3 ،105]، وهي ((مجموعة أحداث مرتبة ترتيباً سببياً، تنتهي إلى نتيجة طبيعية لهذه الأحداث، هذه الأحداث المرتبة تدور حول موضوع عام)). [4،504]

الحدث والشخصية:

تقوم الحكاية القرآنية على أركان عدة، منها: الحدث والشخصية والحوار بالإضافة إلى الزمان والمكان، ويعد الحدث من أهم أركان الحكاية القرآنية، ((فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة أم بين بين، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أو غيرهم، وسواء كانت موزعة الحلقات أم معروضة في معرض واحد]...[ولا غرو في اشتمال كل قصة قرآنية على هذا العنصر فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا على وجوده)).[5، 18]

اما الشخصية فهي العنصر الثاني من عناصر القصة القرآنية التي اهتم بها السرد القصصي القرآني برسم ملامحها وتتبعها بدقة، فالقرآن الكريم يرسم شخصياته رسما فنياً ينقل أبعادها وحركاتها[6،100]، لأن منطق القصة القرآنية يتناول الشخصية في موقف ما، وهذا الموقف يُحدد تبعا لطريقة المسلك الذي تسلكه الشخصية فتُحدد نوعية الشخصية بالعرض القصصي. [7،48]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لقد ((امتلأ النص القرآني بالشخصيات القرآنية، التي قدمت أبعادا ورموزاً ودلالاتٍ، تراوحت]...[ما بين ثنائية الإيمان والكفر، والخير والشر، والغنى والفقر، وما بين إبراز المواعظ والعبر للأمم السابقة))[8،159] ورسم الشخصية مهم جدا في القرآن، فالقص القرآني يضع أمامنا معالم تلك الشخصية التي تتحرك أثناء القصة.[9،99-100]

وإذا ما انتقلنا للحديث عن شعراء العصر العباسي، فسنلحظ مدى اهتمام شعراء هذا العصر في استدعاء ((شخصيات الرسل والأنبياء في جميع مواقفهم وأغراضهم الشعرية المختلفة، فكلما دعت الحاجة للاستدعاء في أي ظرف كانوا يفيدون منه تجدهم قد جاءوا بالاستدعاء وسيلة مساعدة لغاية التوضيح والتلميح))[10،17]

وابن الرومي واحد من أكثر شعراء العصر العباسي توظيفاً للشخصية القرآنية، وما يرتبط بها من أحداث عبر تناصه مع الآيات القرآنية التي تشير إلى حكايات تلك الشخصيات .

لقد تناص الشاعر مع مجموعة من الشخصيات والأحداث القرآنية، ومنها قوله: (من السريع)

طوفـــانُ نـــوحٍ دُونَ هـــذا النـــدَى فـــابْقى بقـــاء المصْـــطفى نـــوحِ

مُحَمَّـــلا فـــي دَعَـــةٍ حَـــامِلا ثِقـــل المَعَـــالِي غيْـــرَ مَفـــدُوحِ

لا يَعْـــدَمِ النـــاسُ جَـــدَا مَـــانحٍ لِلعُـــرْفِ واسْتِبْشـــارَ مَمْنـــوحِ

ومنها قوله:

أصْـــبَحَت الـــدنيا بِكـــمْ هَشـــة مُرْتاحَـــة فيَّاحَـــة السُّـــوحِ

مَـــأوىً لجـــارٍ غيـــرِ مُسْـــتهْلكٍ مَثـــوَىً لِضَـــيْفٍ غيـــرِ مَنبُـــوحِ

لِيَلجَـــأ النـــاسُ إلـــى ظلكـــم أدَّى نصـــيحٌ حـــق منصـــوحِ[11،560]

يستثمر ابن الرومي هذه الأبيات لذكر حادثة قرآنية ارتبطت بنبي كريم، ويشحذ الشاعر ذاكرته لينتج لنا شيئاً جديدا، فلقد اختار الله نوحاً (عليه السلام) من بين قومه، الذين عكفوا على عبادة الأصنام زمناً طويلاً يلتمسون خيرها[12،21]، استثمر ابن الرومي هذه الأبيات في ذكر حادثة قرآنية ارتبطت بنبي كريم، فلقد اختار الله نوحاً (عليه السلام) من بين قومه- الذين عكفوا على عبادة الأصنام زمناً طويلاً يلتمسون خيرها[12،21]، لهدايتهم وإبعادهم عن طريق التيه والضلال، وبشكل موجز ركز القرآن على المسائل المهمة بتتابع الأحداث وتسلسلها بدقة ووضوح[13،18]، وأكثر المحطات شيوعاً في قصة النبي نوح (عليه السلام) هي حادثة الطوفان التي مثلت نهاية لقصة نبيّ كريم. [14،58]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

إن قراءة النص الشعري تحيلنا إلى عدد من الآيات الكريمة منها قوله تعالى: ﴿... فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[سورة العنكبوت :14] وقوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة العنكبوت: 15]، وظّف الشاعر الحدث في هذه القصة القرآنية خدمةً لغرضه الشعري، فهذا البيت للشاعر جاء من قصيدة له قالها في مدح القاسم بن عبيد الله، أراد ابن الرومي من هذا التناص أن يربط بين طوفان نوح (عليه السلام) وكرم ممدوحه، إلا أنه حمّل السياق الشعري مبالغة تجاوز فيها مضمون استحضار النص القرآني في نصه .

وقد حاور الشاعر النص الغائب فذلك الطوفان الذي أغرق الأرض ولم ينج منه أحد إلا من ركب سفينة نوح (عليه السلام) هو دون كرم ممدوحه الذي لا يحده حد، ونجد في الشطر الثاني من البيت الشعري إشارة إلى عمر النبي نوح (عليه السلام) الذي ورد في قوله تعالى : ... فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَاما...[سورة العنكبوت:14]، فالشاعر في سياق مدحه يدعو لممدوحه أن يعمّر مثل ما عمّر نوح (عليه السلام)، فالبعد الدلالي كان حاضراً في توظيف الشاعر لشخصية النبي نوح (عليه السلام) فقد استحضر الشاعر تلك الشخصية بأبعادها التاريخية والمكانية والزمانية، واشار إلى حدث تاريخي ورد في القرآن هو (الطوفان)، وأحدث الشاعر المفارقة بين طوفان الموت الذي أغرق جميع من في الأرض عدا من كان مع نوح، وبين طوفان الندى والمكارم والعطاء لممدوحه.

ونلحظ أن الشاعر قد أشار إلى تلك الحادثة وتلك القصة عبر لفظة (طوفان) لكن الشاعر قد حقق انزياحا لغويا بتلك اللفظة فهو لم يقصد الجانب المظلم لذلك الطوفان، الذي أدى إلى أخذ الظالمين وعقابهم، بل قصد الإشارة إلى ما فعله نوح (عليه السلام) عبر لجوء الناس له والاحتماء بظله وظل السفينة التي شكلت رمزا لطوق النجاة.

وهكذا فإن ابن الرومي قد استثمر هذا الاستدعاء الشخصي والحادثة القرآنية، لتعزيز فكرته المقصودة تجاه ممدوحه.

وقد كان لأبي الأنبياء وشيخ الحنفاء إبراهيم (عليه السلام) الحظ الأوفى والنصيب الأوفر في القرآن الكريم، وإن الأمة الاسلامية مدينة له بهذه التسمية الجليلة[15،253]، قال تعالى :...مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...[سورة الحج :78]

لقد استحضر ابن الرومي شخصية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بنفس دلالتها القرآنية ورموزها الوارد في الخطاب القرآني السماوي، وقد التقط ابن الرومي بعض المشاهد القرآنية من قصة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) فبنى من تلك المشاهد تعالقاً مع نصه الشعري، ومنها قوله في قصيدة مدح فيها إبراهيم بن المدبر:(من الكامل):

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لـــو كنـــت فـــي عصـــرِ النبـــيّ محمـــدٍ أوحَـــى الإلـــهُ بمـــدحِك التنـــزيلا
شـــاركت إبـــراهيم فـــي اســـمٍ واحـــدٍ ونســـختهُ شـــبها كإســـماعيلا
لـــم يُبـــقِ إبـــراهيم إرث خليفـــةٍ إلا وقـــد قبّلتهـــا تقبـــيلا
ولـــئنْ تقـــدّمك الخليـــل بزُلفـــةٍ لبمثـــلِ مـــا تســـديه كـــان خلـــيلا
تقـــواك تقـــواهُ، وبـــرٌّك بـــرُّهُ للـــهِ درُّكمـــا أبـــا وســـليلا
ولقـــد دعـــوت اللـــه مثـــل دعائـــهِ عند البلاءِ فـــزل عنـــك زلـــيلا[11، 1974]

إن هذا التطابق بين الممدوح وبين شخصية سيدنا إبراهيم (عليه السلام) المذكورة في القرآن الكريم التي حدد الشاعر ملامحها عبر المشاركة في التسمية وفي كل إرث طيب، اذ جعل ممدوحه كالخليل في أعماله، وهي كناية عن نبي الله إبراهيم (عليه السلام)، ولم يكتف بإضفاء تلك الصفات، بل وجد أن من جملة التطابق بينهما هو أن تقواهما واحدة، وبرهما واحد .

وبعد أن تحدث الشاعر عن ذلك التشابه بين ممدوحه ونبي الله إبراهيم (عليه السلام)، ختم الشاعر نصه الشعري بالإشارة إلى حادثة قذف سيدنا إبراهيم (عليه السلام) لحرقه في النار، فلفظة (البلاء) إشارة مركزة لتلك الحادثة، التي ذكرها الله تعالى بقوله : قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ[سورة الانبياء :68]، اما قوله : (دعوت مثل دعائه)إشارة إلى دعاء إبراهيم (عليه السلام) الله تعالى ان ينجيه من النار فجعلها الله بردا وسلاما، فالشاعر يحاول عقد مماثلة بين بلاء سيدنا إبراهيم (عليه السلام) وبين ما تعرض اليه ممدوحه من ابتلاء ودعاؤهما النجاة من هذا الابتلاء باستعمال أداة التشبيه (مثل) لعقد تلك المقارنة.

ونجد في هذا النص الشعري تناص مع عدد من الآيات القرآنية الكريمة كقوله تعالى: ((وَاتَّخَذَ اللّهُ إبراهيم خَلِيلاً)) [سورة النساء :125] وقوله تعالى: ((وَعَهِدْنَا إلى إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ)) [سورة النساء: 125]، نلحظ أن الشاعر في هذا التناص مع شخصية النبي إبراهيم (عليه السلام) قد جنح إلى المبالغة في وصف ممدوحه التي تظهر في تمادي الشاعر على قدسية تلك الشخصية القرآنية .

إن القصص القرآنية ((تكاد تستوعب في مضمونها وهدفها جميع الأغراض الرئيسة التي جاء من أجلها القرآن الكريم))[16،33]، وابن الرومي في تناصاته مع شخصيات الأنبياء (عليهم السلام) والأحداث التي مروا بها، كان يهدف إلى توظيفها بصورة تترك أثراً في المتلقي وانتاج معنى اعمق مما لو لم يتناص معها، إذ إن ((كل قصة من قصص القرآن لابد أن تدور حول فكرة معينة]...[وكثيراً ما تكمن قيمتها الفنية في قدرتها على الإيحاء والتأثير)).[17،335]

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومن الشخصيات التي تناص معها ابن الرومي شخصية نبي الله أيوب (عليه السلام) الذي يعد رمزاً خالداً للصبر المقرون بالرضا، وقد رسخ القرآن الكريم صورته بوصفه أنموذجاً عظيماً في الصبر وتحمل البلاء، لقد استهوت شخصية سيدنا أيوب (عليه السلام) ابن الرومي فاستحضرها في شعره استحضاراً مباشراً، وفي القصيدة ذاتها يستحضر شخصية نبي الله يعقوب (عليه السلام) التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ضمن قصة يوسف (عليه السلام)[167،18] وذكرت مرة أخرى في قوله تعالى: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إبراهيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ[سورة البقرة: 133].

لقد تناول ابن الرومي شخصيتي أيوب يعقوب (عليهما السلام) في جانب من جوانبها وهو ما تحمله هاتان الشخصيتان من دلالة على الصبر وتحمل الفراق، وقد جاء ذلك في قوله: (من الخفيف)

واليـــك الشـــكاة يـــا ابـــن الـــوزير ... يـــن فـــاني فـــي محنتـــي أيـــوب

ولأنـــت الـــذي يَحُـــدّ تمامـــا ... للأيـــادي أن تطمـــئن القـــوب

غير أنـــي أرْجـــو كمـــا نـــال بالصبْـــ ... ـرِ ومـــا نـــال قبلـــه يعقـــوبُ[11،536]

يقف ابن الرومي في نصه الشعري هذا إزاء شخصيتين من شخصيات الأنبياء ورد ذكرهما في القرآن الكريم عُرفتا بشدة الابتلاء والصبر عليه، الذي كان من نتائجه رفع البلاء عنهما جزاء لصبرهما، فالشاعر ذكر تلك الشخصيتين بالتصريح، فجاء بيته الأول متناصاً مع قوله تعالى:((وَأيوب إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)) [سورة الانبياء: 83].

إذ ابتلى الله تعالى نبينا أيوب (عليه السلام) في بدنه بمرض شديد، وذهب ماله ومات أولاده[19،314]، وقد أدرك الشاعر ما لتلك الشخصية من دلالات وإيحاءات على معاني الصبر، وحاول أن يعكس ذلك على نفسه في شكواه للمخاطب، ثم يعرج ابن الرومي على نبي الله يعقوب (عليه السلام) الذي صبر على فراق سيدنا يوسف، راجياً في بيته الثالث أن ينال ما نال سيدنا يعقوب بعد صبره على فراق يوسف والذي توج بلقائهما بعد أن مكن الله يوسف (عليه السلام) في الأرض، وما آل إليه صبر سيدنا أيوب إذ عاد إلى سابق صحته ووضعه قبل مرضه، فقد تمكن الشاعر من انتاج المعنى الذي قصده من مخاطبته لابن الوزيرين، فقد مرّ الشاعر بأقسى أيامه التي تمثلت بفقد أبنائه وامه وأخيه، وكان يرى في ذلك الشخص طوق النجاة.

ومن القصص الأخرى التي وظفها ابن الرومي في شعره قصة سيدنا موسى (عليه السلام) التي أفاد منها في ديوانه في أكثر من موضوع؛ لما احتوت عليه هذه القصة من مشاهد كثيرة وما أفادته من عبر ودروس، ولقد ذكر الله تعالى سيدنا موسى (عليه السلام) في مواضع كثيرة ومتفرقة من القرآن الكريم، وذكر قصته مبسوطة مطولة وغير مطولة[20،73].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ومن المواضع التي أشار فيها الشاعر إلى شخصية سيدنا موسى (عليه السلام) بالتلميح من دون التصريح ما جاء في قوله:- (من الكامل)

وإذا أراك نـــدَاهُ يـــوْمـــا زُهْـــدَه أبـــصـــرت زُهْـــدَ مُـــحـــالِفِ الأمْـــسـاح

وإذا أشـــارَ أو ارْتـــأى فـــي خـــطة أبـــصـــر تحِـكمَة صاحِب [556،21] الألواح

في النص الشعري إشارة إلى قوله تعالى((...: وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ...))، [سورة الاعراف:150]، تشير الآية إلى ما جرى بين موسى (عليه السلام) وقومه بعد اتخاذهم العجل الهاً يعبدوه، فالقرآن الكريم يستعرض ((ردّة فعل موسى الشديدة في قبال ذلك المشهد وفي تلك الأزمة، إذ يقول: إنّ موسى ألقى ألواح التوراة التي كانت بيده، وعمد إلى أخيه هارون وأخذ برأسه ولحيته وجرهما إلى ناحيته ساخطاً غاضباً)) [22، 517]، وفي موقفه هذا عبرة لبني اسرائيل اذ استطاع عبر فعله هذا أن يوقظهم ويلفت نظرهم إلى سوء فعلهم ليعتبروا.

اتخذ الشاعر من الرمز وسيلة ليشابه بين حكمة أحمد بن عيسى بن شيخ وحكمة النبي موسى(عليه السلام)، فذكر أن ممدوحه أشار أو ارتأى في خطة أي طريقة أبصرت فيها طريقة صاحب الألواح، فالشاعر استدعى شخصية سيدنا موسى (عليه السلام) عبر توظيف الرمز بدلالته وايحائه ليعبر عن موقفه الشعري .

إن من أهداف القصة في القرآن الكريم ((بيان الغايات والاهداف من إرسال الرسل والأنبياء، إن ذلك إنما هو من أجل إبلاغ رسالات الله، وهداية الناس، وإرشادهم وتزكيتهم))[44،23]، ويبدو أن تأثر ابن الرومي بقصص وشخصيات الأنبياء كان تأثراً بالغاً وقد تجلى ذلك واضحاً في شعره إذ كانت تلك الشخصيات القرآنية واحدة من أهم الوسائل المنتجة للمعاني الشعرية عنده، ولقد كانت شخصية نبي الله سليمان حاضرة في نصه الشعري، ومن أمثلة ذلك هجاؤه لأبي حفص الورّاق قائلا: (من البسيط)

قالوا: هجاك أبو حفـــصٍ، فقلـــت لهـــم: أعـــاش بعـــدي ســـليمانُ بـــن داوُودِ؟

أنـــى فهمـــتم كـــلام الطيـــر ويحكـــم والترْجُمـــان الـــذي ســـمَّيْتهُ مُـــودِى؟

لو كان حيّـــا ســـليمانُ الـــذي اعترفـــت لـــــه الغـــــواة وألقـــــت بالمقاليـــــد

أعيـــاه شـــعْرُ أبـــي حفـــص بِلكنتِـــه حتـــى يُبَلـــدَ فيـــه أيَّ تبليـــد[11،770]

نجد في البيت الثاني من النص الشعري تناصاً واضحاً مع قوله تعالى: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ [سورة النمل:16]، لقد حاور ابن الرومي في نصه الشعري النص الأصلي (القرآني) معتمداً على المحاكاة الساخرة، والحوار المعتمد هنا هو الحوار بالقلب او العكس الذي يعد ((الصيغة الأكثر شيوعاً في التناص وخصوصاً في المحاكاة الساخرة لما فيه من عمل للتضاد،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يذهب عكس الخطابات الأصلية المستدخلة في علاقة تناصية))[55،24]، فابن الرومي حاكى النص الأصلي في البدء متعجبا ممن نقل اليه خبر الهجاء، اذ كيف فهموا شعره وهم ليس لديهم مقدرة سليمان في فهم مالا يستطيع الانسان العادي فهمه، موظفاً معجزة سيدنا سليمان (عليه السلام) في غرضه الشعري بأسلوب ساخر متهكم، ثم ينتقل إلى المبالغة في التعبير قائلا: إن سليمان (عليه السلام) الذي كلم الطير والحيوان والنبات وكان ترجماناً لكل شيء، وأُوتي ما أُوتي من العلم والحكمة لو كان حياً في زمان الشاعر وسمع شعر أبي حفص لأعياه ذلك الشعر، في إشارة من الشاعر إلى أن لسان أبي حفص فيه تمتمة ولكْنه وعجمة، وفي استعمال ابن الرومي لمفردة (يُبَلّدّ) فساد ظاهر وتجاوز على قدسية الشخصية القرآنية، فالبليد ((من حرم الذكاء والمضاء فِي الْأُمُور[2،68]، ((ولا يجوز أن يوصف نبي بهذه الصفة ، ونلحظ في البيت الثالث من النص الشعري ذاته إشارة لجانب آخر من قصة سيدنا سليمان (عليه السلام) عندما أعلنت ملكة سبأ بلقيس إسلامها لله رب العالمين على يد سليمان (عليه السلام) وألقت بمقاليد الحكم **[25:** 438].

لقد رأينا كيف تداخلت ذاتية ابن الرومي في توجيه مشاهد النص القرآني بما يتلاءم مع موقفه ورؤيته وغرضه الذي قصده عبر التوظيف للنص القرآني في نصه الشعري، إن الاقتباس وتوظيف شخصيات الأنبياء في الشعر هو شكل من أشكال التناص واستلهام وامتصاص للتراث وتفاعل معه.[95،26]

ووظف ابن الرومي قصصاً لشخصيات دينية مقدسة ورد ذكرها في القرآن الكريم، كانت تحمل دلالات إيجابية وإيحائية عامرة بالإيمان والخضوع المطلق لله تعالى، وكانت قصص تلك الشخصيات قصصا وعظية، استمد منها اهدافاً، وعبّر عن أفكاره وفقاً لتصوراته الخاصة ومن تلك الشخصيات القرآنية التي تناص معها الشاعر مستوحياً صفاتها القرآنية شخصية (لقمان الحكيم)، تلك الشخصية المقدسة التي أوتيت من الله تعالى الحكمة والسداد في الرأي، لقد وجد ابن الرومي في شخصية لقمان مصدراً مهماً يُغني به نصه الشعري مستلهماً منه تلك الدلالة التعبيرية، ففي قصيدة له مدح بها اسحاق بن إبراهيم، قال فيها:(من الطويل)

لــه حُلــم لقمــان الحكــيم، فــإن طغــا سفيهٌ فحِلف الحلم صولة شــير**[11،999]**

يتناص الشاعر في البيت الشعري مع قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ))[سورة لقمان:12]، لقد استدعى ابن الرومي تلك الشخصية من النص الغائب إلى نصه الماثل عبر الإشارة الصريحة ليجعل المتلقي يعيش بما مثلتهُ تلك الشخصية من دلالة قرآنية حاول الشاعر منها إحاطة ممدوحه بتلك الصفات التي تحلى بها لقمان الحكيم ليُضيف لممدوحه شيئا من الهيبة والقدسية.

وأكثر صفة من صفات لقمان تحلى ممدوح الشاعر بها هي صفة الحلم عند الغضب، ولكن حلمهُ هذا لا يقبل طُغيان السفيه الجاهل، فالممدوح يمتلك شجاعة الأسد مع الحلم الذي يتحلى به، فتوظيف كلمة (شير) في آخر البيت وهي كلمة فارسية تعني الأسد[739،27]، دلّت على ذلك، وبذلك أفاد الشاعر من تلك الشخصية واتكأ عليها

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

في بناء رؤيته للممدوح، فابن الرومي له مقدرة فنية عالية في استحضار الشخصية القرآنية وتوظيفها توظيفاً ينسجم مع موضوع نصه.

لقد مثلت الحكاية القرآنية لابن الرومي مصدراً معرفياً، استقى منه بعض الصور الشعرية في رسم ملامح شخصياته الشعرية.

إنّ تناص ابن الرومي مع الشخصيات والأحداث القرآنية، لم يكن يسير في اتجاه واحد بل كان تناصاً متنوعاً ثرياً، منح خطابه الشعري القوة والحيوية ومثلما تطرق ابن الرومي في شعره للشخصيات الايجابية التي وردت في القرآن، أحاط الشاعر كذلك ببعض الشخصيات السلبية والمنبوذة التي ورد ذكرها في القرآن، فلقد كان لقصة (فرعون) حضور في شعر ابن الرومي وذلك لما تحمله تلك القصة وتلك الشخصية من مواعظ وعبر .

لقد أفاد ابن الرومي من شخصية (فرعون) فاستثمر تلك الشخصية بما يخدم غرضه الشعري، ومن ذلك قوله في غرض الهجاء: (من المسرح)

ولأرمينـــــك بعـــــدها بقصـــــائد فيهـــــا لكـــــل رَمِيَّـــــةٍ إقصـــــاد

لـــــو خيَّســـــت فرعـــــون ذل لوقعهـــــا فرعون ذو الاوتـــاد والاوتـــاد**[11،739]**

يحيلنا الشطر الثاني من البيت الثاني إلى قوله تعالى : ((وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ)) [سورة الفجر:10]، اختلف أهل التأويل في معنى قوله (ذِي الْأَوْتَادِ)، ((وسمي ذا الأوتاد – على ما في بعض الروايات – لأنه كان إذا أراد أن يعذب رجلا بسطه على الأرض ووتد يديه ورجليه بأربعة أوتاد في الأرض وربما بسطه على خشب وفعل به ذلك، ويؤيده ما حكاه الله من قوله يهدد السحرة إذ آمنوا بموسى: ((وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)) [سورة طه :71]، فإنهم كانوا يوتدون يدي المصلوب ورجليه على خشبة الصليب)).[28،157]

حاول الشاعر في نصه أن يمتص صفة من صفات تلك الشخصية وجانب من جوانبها وهو جانب الجبروت والقوة ويوظفه توظيفاً يتساوق مع المعنى الذي قصده .

ومن الشخصيات التي التفت إليها ابن الرومي واستقى منها بعض المعاني شخصية (هامان)، تلك الشخصية التي اقترنت بفرعون فقد استثمر ابن الرومي تلك الشخصية في الهجاء قائلاً: (من البسيط)

عـــواء كلـــب علـــى أوتـــارِ مندفـــةٍ في قبحِ قـــردٍ وفـــي اســـتكبار هامـــانِ[11، 2548]

إنّ الاستحضار الاسمي من الشاعر لشخصية هامان يُحيل القارئ إلى قوله تعالى : ((وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأرض وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ))[سورة العنكبوت :39] ، لقد عمد الشاعر في تناصه هذا إلى توظيف الشخصية القرآنية في هجاء خصمه فجاء التوظيف بصورة التطابق، فقد وظف الشاعر شخصية هامان وطوعها خدمةً لغرضه، إذ وصف مهجوه بأوصاف حط بها من قدره، فبعد أن نعته بعواء

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الكلب وقبح القرد، نعته أيضا بالاستكبار والعلو والمكر، وجاء نصه الشعري من حيث المعنى موافقا للنص القرآني بالتطابق في سلبية الشخصية.

لم يكتف ابن الرومي في تناصه مع الشخصيات والأحداث القرآنية بالوقوف عند حدودها، وإنما وظفها لإنتاج معان تتوافق وسياق نصه الشعري، تقوم على علاقة فهم وادراك للطاقات الكامنة في النص القرآني، وقد نالت قصص الأنبياء والرسل مكانة متميزة في ديوان الشاعر، وكذلك كانت قصص الشخصيات الايجابية، والشخصيات ذات الدلالة السلبية أداة مهمة لربط النص الشعري بعمق تلك الشخصيات وأغوارها.

وقد اتبع الشاعر آليات متعددة في توظيفه للشخصيات القرآنية وأحداثها، ومن تلك الآليات التكثيف باستحضاره ألفاظ قرآنية تحمل إشارات لمرجعيتها، والتمطيط بشرح الفكرة التي يستحضرها بشكل أكثر تفصيلاً، وآلية التحويل لينتج عنها معان جديدة.

الخاتمة:

1- شكل ابن الرومي في تناصه مع الحكاية القرآنية أساسا من أساسيات الخلق الجمالي في التشكيل الشعري.
2- امتلك الشاعر مقدرة فنية عالية في استحضار الشخصية القرآنية والحدث المرتبط بها واستثمرها لإنتاج المعنى الذي يريد بيانه.
3- وظف ابن الرومي الحكاية القرآنية لما يخدم تعبيراته وأغراضه الشعرية.
4- جاءت معظم استدعاءات الشخصيات القرآنية موظفة في غرضي المديح والهجاء.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر

1- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الافريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، تح: محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ١٩٩٨ م:مادة(حكى).
2- مجموعة من الباحثين، مجمع اللغة العربية، الادارة العامة لأحياء التراث، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية مصر، ط٤، ٢٠٠٤م: مادة (حكى).
3- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000م:105.
4- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة،ط1، 1997م: 504.
5- د. عبد الجواد محمد، أدب القصة في القرآن الكريم: دراسة تحليلية كاشفة عن معالم الاعجاز، الدار المصرية، الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية (1)، ط1 ،2000م:18.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

6 – عبد الكريم هجرس، التناص القرآني في الشعر العباسي زهديات أبي العتاهية أنموذجاً، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج الخضر، الجزائر، 2018:100.

7– سيد قطب، القصة في القرآن، مقاصد الدين وقيم الفن، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ط)، 2001م: 48.

8– ابراهيم مصطفى الدهون، التناص في شعر المعري، اطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن،2009م: 159.

9– سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988م:99–200.

10– محمد رافع غالب القاضي، استدعاء شخصيات ما قبل الإسلام في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة أهل البيت، 2014م: 17.

11– ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تح: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 1980م: 2 /560.

12– ينظر: عبد المعطي اسماعيل عباده، أولو العزم من الرسل، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط1975،1م: 21.

13– ينظر: يوسف سليمان، السرد في القصة القرآنية، قصة نوح انموذجاً، مجلة كلية العلوم الاسلامية، الموصل، العراق، مج5، ع 10، 2010م: 18.

14– حسن مطلب المجالي، اثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، 2009 م:58.

15– أ.د. فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، صدق حدث وسمو هدف، ارهاف حس وتهذيب نفس، دار النفائس، الاردن، ط3، 2010م: 253.

16– فالح الربيعي، القصص القرآني رؤية فنية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2002م: 33.

17– التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، 1971م: 335.

18– سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988م :167.

19– العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، (د.ط)، 1421ه:314/14.

20– محمد علي قطب، زوجات الانبياء وامهات المؤمنين، الدار الثقافية للنشر، مصر، ط1، 2004م: 73.

21– ديوان ابن الرومي، أبو الحسن علي بن العباس بن جريج، تح: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 1980م: 560/2.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

22 – الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة سليمانزاده، ايران ،قم المقدسة، ط1، 1426ه.ق:517/4.

23– السيد محمد باقر الحكيم، القصص القرآني، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت،ط2، 1425ه.ق: 44.

24– أدونيس منتحلا دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها: ما هو التناص؟ كاظم جهاد، دار الفكر الجديد، بيروت، ط2، 1993م:55.

25– ينظر: أ.د. أحمد أحمد غلوش، دعوة الرسل (عليهم السلام)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2002م :438 .

26– ينظر: د.عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط4، 1998م:95.

27– ينظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس،تح:ابراهيم الترزي،دار احياء التراث،بيروت،ط21، 1981م:(مادة: نرد).

28– محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة: 157/20.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq